
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

1

# الحداثة والسياسة: مأزق النظرية وأسئلة المستقبل

د. هبة رءوف عزت

مدرس العلوم السياسية-جامعة القاهرة

يبدو أننا صرنا فى حاجة إلى بناء فقه للحداثة يتجاوز النقد العارم والعام أو الانشغال ببناء بدائل أيديولوجية، دون فهم دقيق لموقعنا على خرائط التاريخ والجغرافيا فى هذه اللحظة التاريخية، والموضع الذى نحن عالقون فيه كأنه منزلة بين منزلتين. فتقديم تصور واضح عن منطلقات الحداثة وتجليات منظومتها، فى الواقع الذى نعيشه، ينجح فى التحرر من نزاعات الأيديولوجيا وصراعات السياسة هو السبيل للإفلات من الدخول فى مساحات جديدة من التيه لم يزل العقل العربى-إذا استخدمنا هذا التوصيف بحرص-يدور فيها. ومن الأهمية بمكان أن يتم ذلك برؤية نقدية متوازنة وعميقة، يوظف فيها الباحث فهمه لمجريات عصره ويفك شفرته وغموضه، ويشحذ لذلك أدوات معرفية ومنهاجية من حقول شتى، ويتجرد لتلك المهمة، ويستشرف مآلات العالم المحتملة كى يمكن تفعيل الإرادة، وتحديد وجهة الفعل والعزيمة، وأدواتهما لصالح الإنسان.

لا نسعى هنا لإعادة اختراع العجلة، فقد سبقت جهود نقض الاستشراق وتقديم رؤية بالمقابل للاستغراب، وسعى البعض فى الغرب لتقديم الرؤى النقدية من منظور ينتسب للماركسية تارة، واختار البعض للعودة للدين كإطار معرفى أحياناً وكموضوع للبحث تارة أخرى، وذلك من خلفيات مسيحية حيناً، ويهودية حيناً آخر[1]، كما أننا سنتجنب الجدل بشأن التمييز بين الحداثة وما بعد الحداثة، حيث نرى الحداثة على مستمر تقلبت عليه فى أطوار مختلفة.

ولا يخفى على من يبحث فى مجال النظرية السياسية أنها مرت بأزمات فى المنهج والأدوات تزامنت فى الوقت ذاته مع تحولات فى الظواهر وما طرأ عليها من مستجدات، وبالتالى فإن التخصص فى موقف لا يحسد عليه[2]،ولديه مشكلة حقيقية فى فهم جذور الأزمة وكنه التحول فى إطار مسيرة التنوير، ثم تجليات الحداثة والتحديث.

## التحولات: أسئلة الإنسان والمكان والزمان

يمكننا أن نرى الأزمات فى النواة الصلبة للأسئلة التى تدور حولها النظرية السياسة، وهى الطبيعة الإنسانية، وتصورات المساحة، والمكان، وفكرة الزمن.

فإذا بدأنا بالنظر بالبعد الأول، وهو الطبيعة الإنسانية، فإن جوهر ما قدمته الخداثة من تصور كان عقلانية الإنسان وقدرته على التحكم فى مصيره والعالم، أى الذات والمحيط.لكن ما حدث لـ «إنسان التنوير»– كما سمته أجنيس هيلر[3] –هو انتقاله من صلابة العقلانية فى مراحلها الأولى إلى سيولة الرُشد فى واقعنا بما بات يتجاوز اقتراب «الخيار الرشيد»[4]، وسنجد أن الأمر قد تجاوز كثيرا ما اعتبره آرنولد بريخت الخلاف المركزى داخل حقل النظرية السياسية بين المسار الكانطى والمسار الديكارتى.[5]

«الحالة الإنسانية» التى استعرضتها «حنة أرندت» فى تقلبها بين أطوار الحداثة هى التى تحتاج إلى نظر فى مستهل هذا السعى،خاصة غلبة الاقتصادى على السياسى، والسياسى على الإنسانى[6]، فقد غيرت الحداثة مقومات العيش الإنسانى، وأعادت تعريف الإنسان لتمنحه معانيَ أكثر اقترانا بمسار الرأسمالية فى مراحلها المتتالية، وبالتالى أعادت طرح سؤال: ماذا نعنى بالإنسانية وما هى خصائصها.

لقد كانت مهمة الحداثة إطلاق حرية التحقّق والاختيار الإنسانى من أسر الغيب بفصل الدينى عن الدنيوى، ومن غياب اليقين فى قدرة الإنسان على السيطرة على هذا العالم بتقديس العلم الوضعى، وبالتالى رفع مستوى الحرية، وضمان الفردية، وتحرير المرء من قيد التقاليد.لكن التقاليد لم تنته، بل اختلف تعريفها فقط، والتاريخ لم ينته (كما زعم فوكوياما)، بل إن التحولات أحدثت كثيراً من الإشكالات التى استلزمت المزج بين قديم وحديث، فلا القديم تلاشى ولا الحديث استمر واستقر، بل وجدنا أنفسنا وسط أنواء وارتباكات[7]، وإذا بنا فى قلب ما سماه ماكس فيبر «القفص الحديدى للعقلانية والبيروقراطية» أو «ما يشبه الليل الحالك فى القطب الجليدى»

ويُعد استخدام زيجموند باومان لوصف «السيولة» مقابل «الصلابة» واستخدام مايكل والتزر لوصف «السميك» مقابل «الرفيع» فى مناقشتهما للإشكال القيمى فى نقاشات العدالة[8] من التوصيفات الهامة للحداثة، وبالتالى ما يمكن أن تتيحه من مفاهيم نظرية وأدوات تحليلية تشكلت فى ظلها العلوم السياسية ومعها حقل النظرية، وهو ما يذكرنا بتوصيف جوزيف ناى للقوة فى العلاقات الدولية بين الخشونة والنعومة[9]، وبالطبع يستدعى تصور المانيفستو الشيوعى عن «الصُلب الذى يتبخر»، أى الرأسمالية التى تتمدد فى الأسواق والمجالات فتتجه لتغيير صلب أفكارها وقيمها فلا يتبقى من الأصل الكثير، وهو ما تحقق بدرجة كبيرة. وقد تتبع تجليات هذا وصيغه مارشال بيرمان فى كتاب يحمل نفس العنوان حلل فيه«تجربة» الحداثة المعيشة وما فعلته فى التصورات والمساحات والمدن ونماذج التطور الاقتصادى.[10]

لقد كان مسعى الفلسفة والعلوم الإنسانية اكتشافَ مقومات الطبيعة الإنسانية ومنطق النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وذلك لحسن إدارة الجماعات البشرية،أى «روح الاجتماع» بتعبير جوستاف لوبون[11]، لكن عن أى روح نتحدث فى عصر «ما بعد الإنساني»–post-human، حيث تتم مراجعة كل ما هو «طبيعي» وما هو «إنسانية مشترك» قامت عليه الحداثة، سواء فى تصورها عن أسس العقلانية، أو فى تصورها للإنسان فى مكوناته الأساسية التى تضعه فى مقابلة مع الحيوان من ناحية ومع الجماد/الآلة من ناحية أخرى، وهو ما تتم مراجعته الآن من الجهتين سواء من جهة تصاعد فكرة إزالة الفوارق بين الإنسانى والحيوانى من ناحية، أو مع الذكاء الاصطناعى وتحولات الروبوت ومستجدات إدخال عنصر آلى فى بنيان الجسد نفسه،[12] من ناحية أخرى.

فإذا انتقلنا للبعد الثانى، وهو المساحة والمكان، والذى دار حوله تصور «الحيز السياسي» بما يحويه من مجالات مستقلة أو متقاطعة أو متنازعة، سنجد تحولاً ضخماً فى إدراك المساحة والمسافة والحدود.

فقد قام المخيال السياسى الحداثى على ذهنية خرائطية حادة تأسست عليها قُطرية الدولة الحديثة/ الحداثية وتصوراتها عن السيادة والقوة والهيمنة[13]،كما سنجد تحولاً فى فهم المدينة من مساحة تمنح الفرد الحداثى تحرره من الصيغ التقليدية ما قبل الحداثية للاجتماع، كى ينتقل للتشكيلات الإرادية التى نشأت فى مدن الحداثة (لنا تحفظ على انسحاب هذا التحليل على المجتمعات الإسلامية، لكن هذا ليس مجاله).

لكن الواقع هو أن العولمة أعادت تعريف الحيز والمساحة والسيادة، وأن المدن تحولت من منصات للتفاعل الحر، وساحات لصعود المجال العام، وتفاعلات السياسة بصيغها المختلفة إلى أدوات لبسط السيطرة الرأسمالية، واكتساح البنية المجتمعية، وتفكيكها لصالح السوق والفرز والتهميش الطبقى اقتصاديا وعمرانيا.[14]

ولو أننا استرجعنا ما كتبه إيرفينج جوفمان الذى يعد من أهم علماء الاجتماع المعاصرين (بل يعتبره البعض أهم من هابرماس) والذى نشر مبكرا عام 1956 كتابه الهام «تمثيل الذات فى الحياة اليومية» سنجده يتحدث عن الصيغ التى يقدم بها الفرد نفسه فى التواصل والتفاعل اليومى مع الآخرين، وكيف يبنى الآخرين صورة عنه، وهو اقتراب غاية فى الأهمية فى فهم ثقافة الاستهلاك السلعى التى غزت المجال الاجتماعى بقيمها والجسد بمظهريتها. وكيف يغير هذا من تشكيل الهوية الفردية، وبالتالى الانتماء لجماعة، وهو ما ينعكس بالتالى على أى حديث عن المواطنة، والانخراط السياسى، وبناء مفهوم للخير العام والصالح العام و«العموم» بتشكلاته.[15]

وقد كتب هنرى لوفيفر أيضاً فى نقد الحياة اليومية فى المدينة،وكذلك عن «إنتاج الأمكنة»، من خلال ثقافة الحداثة ،والدلالة التى تمنحها للزمن والمساحة فى حياتنا اليومية وما يتم من خلال ذلك من صناعة للوعى وتحديد المكانة التى طالما تحدثنا عن أن السياسة تدور حولها ضمن تعريفها بكونها التوزيع السلطوى للقيم.[16]

وعند الحديث عن جماعة متخيلة كالجماعة القومية التى وصفها بينيدكت أندرسون بدقة[17] لن يمكننا تصور هذه الجماعة فى فراغ، بل هى تتجسد فى أمكنة من أسرة، وجيرة، ومجتمع عضوى يقوم على دعائمه ووفق شروطه وتوازناته المجتمع التعاقدى، فإذا اختلت العلاقة بينهما فإن كل موازين القوى بين السياسة والاقتصاد والاجتماع تختل بدورها .

أما المحور الثالث فهو الزمن، ما تعريفنا له، إذ هو المفهوم النظرى المجرد الذى يقف كرمانة ميزان بين مفهوم التاريخ الكلى ومفهوم الوقت الجزئى، والذى تصارعت حوله الأيديولوجيات فى موقفها من الراهن والمستقبل، والماضى والأبد، والمتعين والمتجاوز. مفهوم الزمن -وهذا من أكبر الإشكاليات- يرتهن بالمستجدات فى العلوم الطبيعية لا العلوم الإنسانَية فحسب، وبالتالى فإن ما شهدناه منذ عصر التنوير من فك الارتباط المتزايد بين العلوم الإنسانية والطبيعية بحكم طبيعة النظم التعليمية ونشأة الكليات وجنوحها نحو التخصص قد خلق فجوة فى فهم الزمن بين المتخصصين فى فروع العلم المختلفة.

وقد غلب على الفلسفة عبر تاريخها رؤية للزمن فى بعده التاريخى الأطول longue durée ـ كما يسميه فرنان بروديل ـ ليحل محله ما يطلق عليه بروديل «التاريخ القصير» فى حديثه عن الزمن وأثره على فهم التاريخ فى العلوم الاجتماعية وتطويرها، وذلك من خلال الوعى بتعدد أزمنة التاريخ وتعددية الزمن الجارى. فالزمن بمنطق التقدم الخطى التراكمى البسيط الذى صاغته الحداثة بات منذ فترة غير قليلة موضعاً للمراجعة النقدية، وبروديل قد وضع ذلك فى منظومة أو فلنقل مصفوفة تعيننا



على فهم الزمن والتاريخ فى امتداداتهما [18]، وما نشهده فى الواقع فى الحداثة السائلة أن هناك أزمنة مختلفة تتجاور، وتواريخ تتزامن بشكل لا سيمترى ، وهو ماسيُحدث ارتباكاً فى التحليل الذى استقر عليه تصورنا للسياسة، ففى نفس اللحظة تصب الأحداث فى الآني والمستقبلى، وتبدو وكأنها تنفصل عن السالف والماضى لكن هذا الماضى نجده حاضراً وشاخصاً فى المستقبل كأنه يُبعث من جديد، ويحتاج الباحث، جهد لتمييز الأزمنة والربط بينها واستشراف آثار تجاورها على الثقافة والسياسة على المدى المتوسط والبعيد، وهذا فى حد ذاته مهّد لفكرة تعددية الحداثة ذاتها، والتراجع عن الحديث عن حداثة واحدة، ليس فقط على مستوى الصياغة للنظريات، بل على مستوى التحليل السياسى للواقع عند كثير من المحللين السياسيين الكبار اليوم.

ولعل ما يعكف عليه ضياء الدين سردار اليوم، كمفكر بريطانى، فى المستقبليات على تطويره هو ضبط وصف العصر الذى نعيشه فى علاقته بالزمن، وقد استنتج أن كل ما سبق من الأفضل وصفه بأنه عصر «ما بعد الاعتيادي» post normal time تناغماً مع فكرة باومان عن التأقيت وعدم القدرة على التوقع كإحدى سمات الحداثة السائلة فى كتابه عن «الأزمنة السائلة»[19]، فيذهب سردار إلى أنه فى هذه المرحلة تموت التقاليد القديمة فى حين لم تنشأ بعد تقاليد جديدة، ولا شىء فى الحقيقة يبدو معقولاً فى تلك الأزمنة بينهما. ولكى نطور أى مفهوم عملى للمستقبل لابد أن ندرك أن هذه المرحلة الانتقالية تتسم بثلاث سمات: التعقد، والفوضى، والتناقض. وهذه السمات هى التى تُبقى تلك المرحلة مستمرة بما يقود لغياب اليقين، وأطياف مختلفة من الجهل بما يجعل عملية اتخاذ القرار مشكلة، فتزيد المخاطر التى يواجهها الفرد والمجتمع وكوكب الأرض. ويرى سردار أن هذه الأزمنة ما بعد الاعتيادية تحتم علينا أن نهجر أفكار السيطرة والإدارة المحكمة، وأن نراجع مفاهيم تم الاحتفاء بها سلفاً، مثل التقدم والتحديث والكفاءة،بما يستلزم العودة لبوصلة أخلاقية[20]، وهو ما يمكننا ربطه بالجهد الذى قدمه المفكر المغربى، محمد بلفقيه، فى كتابه عن العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم، حيث تناول ذلك الموضوع بمهارة بالغة وعمق نادر يجعل قراءته مع كتابات ديفيد هارفى بالغة الإمتاع، واللافت أن كليهما متخصص فى علم الجغرافيا.[21]

إن تأسيس تصور الزمن الذى قدمته الحداثة وتقديم الآنى الجارى على التاريخى، بل وعلى المستقبلى فى أجله الطويل لصالح المكاسب العاجلة فى أجل قصير، وقيام اقتصادات الوقت والعمل والتعامل مع الموارد الطبيعية بناء عليه، بل وتشكل طبيعة السياسة التى تدور تقديرات المصالح فيها على دورة الانتخابات وليس دورة التاريخ، وعلى منافع الرأسمالية وليس حفظ موارد العالم للأجيال القادمة، لهو من أكبر الإشكاليات التى نتجت عن تصورات الحداثة للزمن وانعكست فى السياسة، وقد انتبه باولو فيريليو لأثر «السرعة» على السياسة، بمثل ما انتبه روبرت داهل من قبل فى كتابه عن الديمقراطية، ثم كتابه عن نُقاد الديمقراطية لأثر المساحة واتساعها على السياسة، من حيث الإدارة والحكم، ومن حيث الديمقراطية ونظمها، فتركيبة تصورات الزمن، واتساع نطاق المكان، وتنوع وتعقد طبيعته يحكمان طريقة التفكير ومنهج الحياة.

كان فيليريو معماريا فرنسيا، ومع منتصف السبعينيات بدأ فى تحليل الحداثة من حيث كونها تحول المساحة الاستراتيجية لـ«زمن إجرائي» وهو ما يُمكن السياسة الحديثة من الانتقال السريع بين الحرب والسلم فى ظل هيمنة القوة العسكرية على الدولة القومية الحديثة. وعامل «السرعة» هو المحك هنا فى قضايا الأمن والسياسة معاً، فليس غريباً إذا من هذا المدخل أن نجده يتحدث عن حالة «الطوارئ» بمثل ما تحدث كارل شميت عن ضرورة انفراد الدولة بتحديد «حالة الاستثناء» التى تكون فيها السيادة فوق القانون، والتى انتقدها جورجيو أجامبين، وقام بتقويض نظريتها.

وتبدو أهمية أن نقرأ فيليريو بالتوازى مع مفهوم باومان عن الحداثة السائلة فى أنه يرصد هذا التغير السريع في تكنولوجيا النقل وتكنولوجيا الاتصال وأثره على استخدام الأرض من حيث الثروة والقوة معاً، وأنه يربط بين المادى: المعمارى والجغرافى من ناحية، والحيوى من حيث القوة البشرية من ناحية ثانية والتكنولوجي والبرمجى من ناحية أخيرة، ويرى أثر هذا الارتباط على الجمع بين السيولة والتحصين، والمراوحة والتثبيت، أى السائل من حيث القوة ، والصلب من حيث أدوات وتقنيات التحكم.. وكيف يصب ذلك فى تحريك الجموع، سواء الجنود فى حالة الحرب، أو البشر فى المدينة طوال الوقت. وقد ربط فى رؤيته بين تاريخ الحركة وسرعتها، وتاريخ الحرب والسياسة، وأيضاً بين المدينة وقوات الأمن، فالمدينة صيغة للتحكم ولذلك الأولوية على المشاركة، ومن هنا تقاطع المعنى عنده بين polis أى المدينة وpolicing، أى الشرطة والحماية، ويرى فى ذلك كله أثراً على تطور الرأسمالية وتاريخها الاجتماعى (تطور رؤية الجسد)، والعلمى (تطور آلة الحركة) واستهلاك الحماية وتحولها لسلعة وارتباط ذلك باختصار المسافة..والوقت.[22]

ورغم تعقد كتابة فيريليو وصعوبة النصوص التى تتحدث عن الزمن فلسفيا أو تقارن معناه بين العلوم الإنسانية والطبيعية، فإن الباحث لن يعدم نصاً بسيطاً وعميقاً، مثل نَص روبرت لوفين فى علم النفس الاجتماعى عن اختلاف الثقافات فى إدراك وتقسيم الوقت والذى يستبطن مفهوما للزمن يختلف جغرافياً..وتاريخياً، ويرى أن «الوقت الاجتماعي/ الجماعي» هو نبض الثقافة، ويتفاوت ليس فقط بين البلدان، بل أيضاً بين المناطق والجهات، وأن درجة السرعة وإيقاع الوقت فى المشهد اليومى هو مؤشر على طبيعة المجتمع[23]، وبالتالى يثور التساؤل عن أثر ذلك على سمات الثقافة، وإيقاع السياسة، وتصورات صانع القرار للوقت والزمن والتاريخ.

وربما يعيننا ريتشارد سينيت على ربط ما سبق بصلب القضايا التى تشغل النظرية السياسية فى اهتمامها المركزى الراهن بالمواطنة، إذ تحدث عن «إنسان المجال العام» فى صورته الحافظة لروابط التمدن أمام زحف الخصوصية والنسبية، ورصد تصاعد الفردية على المستوى الشخصى، وأوضح أثر ذلك على تفتّت وتشظى المجال العام إلى مجالات ثقافية فرعية تسودها مطالبات جزئية بما يتحدّى فكرة المواطنة القومية الصلبة بمطالب التعدّد والتنوّع الثقافى داخل المواطنة ذاتها[24]، ومن هنا فتحليل تحوّلات الفردية لا ينفك عن متابعة تنامى الجماعية والتعددية الثقافية، وتقدير المصالح العامة، وصولاً للتأثير على منطق القوة والسلطة بل، منطق الدولة ذاته.

**المستجدات ومنطق النظر للمستقبل:**

كل ما سبق من تحولات فى المساحة الدلالية، وما ينبنى عليها من أبنية تصورية فى النظرية السياسية يحدث بوتيرة متسارعة لا تستجيب لها الهياكل الثابتة فى الواقع السياسى المشهود، ويرى البعض أن تلك الهياكل الحداثية الراسخة للقوة، وعلى رأسها الدولة الحديثة/القطرية/ القومية باتت تراهن على «تسييل» مساحات عديدة، كوسيلة للهيمنة والتحكم، ويلقى هذا بشكل واضح مقاومة بصيغ تتجاوز المألوف، وهو مبحث انصرف لمتابعته علماء الاجتماع السياسى فى دراستهم للحركات الاجتماعية الجديدة، وصولاً لـ «لا حركات» كما يصفها آصف بيات، تلك الفاعلية agency الفردية والجماعية التى تنشغل بالحركة والأثر لا بالهيكل والشكل الثابت (أى التأقيت والتصويب، مقابل الزمن الطويل فى الحركة الاجتماعية القديمة) . ولا بد من أن نفهم أن تلك العلاقات المركبة جدلية[25] وتفاعلية وحية، وهكذا يكتمل المشهد ويتضح، فتبرز قدرة النظرية على تحديد وجهتها والقيام بدورها.

ولن يمكننا فى تلك المساحة حصر كل المستجدات الإشكالية التى يسميها البعض أزمات ونفضل تسميتها بالمستجدات لأن التعامل معها يجب أن يأخذ سمة غير مسبوقة، ويتحرك فى ظل هذا الغموض واللايقين الذى وصفناه سلفا، منها ما يتصل بالاجتماع، ومنها ما يفرضه الاقتصاد، ومنها ما يجرى فى ساحة السياسة، لكن سنركز هنا على محورين نرى أن المستجد من قضايا يمكن تسكينها تحتهما، بدلاً من تسمية وإحصاء القضايا ذاتها، بما يقيد خيال الباحث، فالقائمة طويلة ويمكن تحديثها طوال الوقت بالمزيد من حقول علم السياسة المتنوعة والمستجدة،كما يمكن إضافة محاور وإعادة ترتيب التصور، إذ إنه ليس بتقسم حاد، بل ترتيب مرن، والمحوران هما : النظام والفوضى، والدولة والناس.

يثير مفهوم «الفوضى» الكثير من الالتباس، وقد بات لفظاً يستخدم فى التنازع السياسى والتصنيف والتوقيف الأمنى أكثر من تمحيصه وفهمه بعمق فى علاقته الديناميكية بالنظام، وهو ما يثير حساسية تناوله نظرياً فى أحيان كثيرة، فضلاً عن حاجتنا للبحث بعمق فى مستجدات توظيف النظم للفوضى فى بسط الهيمنة الدولية (الفوضى الخلاقة مثالاً) والهيمنة الداخلية (نظم الحكم والإدارة بالأزمات). إذا قمنا بتفكيك مفهوم الفوضى لمستويات، بدلا من النظر له كحالة أو مشهد[26]، وأردنا رسم علاقة مفهومى النظام والسلطة بمفهومى الفوضى واللاسلطوية، فإنه سيمكننا رد الاعتبار للتفكير العلمى فى هذا المضمار وفهم الوقائع بشكل أفضل وأكثر تفسيرية[27].

يعيننا إذاً فهم الطبيعة«السائلة»للحداثة كإطار تحليلى وتفسيرى فى تتبع تحولات تشبه المد والجزر، فالثنائيات المتناقضة والمتعارضة لم تعد تجدى نفعاً فى فهم القضايا الواقعية، ولدينا مشهد الحروب فى المنطقة العربية قائماً أمام أعيننا، كباحثين فى النظرية السياسية، للمتابعة اليومية واختبار الأسئلة فى معمل اختبار يقوم للأسف على الدماء والأشلاء، والسؤال الذى يشغل باحث النظرية السياسية طوال الوقت – بخلاف اهتمامات باحث القانون الدولى أو النظم السياسية المقارنة أو العلاقات الدولية– هو كيف تستمر تلك المجتمعات فى ظل هذه الحرب المستمرة، والتى تداعت لها جيوش الأمم لإبادة المدنيين بدون رادع، وتكشف المتابعة عن تجل واضح لما سماه جوناثان سبينسر «النظام الأنثروبولوجى والاضطراب السياسي»[28]، وهو ما يسيِّر على نفس نهج باومان وسبِنيت السابق الإشارة إليه. وربما يكون رصد فرانسيس فوكوياما لتشكل النظم تاريخيا أيضاً مفيداً فى هذا السياق[29]، ومن اللافت أن هذا النوع من الجدل شديد الاقتران بنظرية الدولة وبفهم الظاهرة السياسية، لكن أكثر نقاشاته تحفيزاً للتفكير يتم اليوم فى حقول الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا.

لقد كان البحث عن النظام «الأمثل» هو مسعى التفكير السياسى عبر العصور، لكن ذلك لم ينفك أبداً عن تصور نشأة النظام ومنطق «الحكم» وفلسفته، وسيأخذنا مثل هذا الفهم للنظام والفوضى لقضايا كثيرة، منها إدارة الاجتماع السياسى، وصيغ الاحتجاج وتحولات أشكاله، وطبيعة الشرعية، وحدود الديمقراطية، والنزاعات الأهلية، وتطوير سياسات الدمج، بدلاً من الإقصاء، وبناء الأمة بعد الأزمات المزلزلة للعقد الاجتماعى الذى عليه تأسست[30]، وصولاً لفهم أعمق لمجريات العلاقات الإقليمية والدولية.[31] ولا مناص هنا من بناء معارف جديدة فى العلوم الاجتماعية تقيم جسوراً مع العلوم الطبيعية، وسيكون إقامة جسور مع العلوم الشرعية/الدينية أيضاً مهماً فى هذا الباب، ورغم أن الدين والعلمانية عادة ما يتم وضعهما فى المحور الثانى –أى الدولة والناس– فإن وضعهما فى هذا المحور ينزعان الحساسيات السياسية العملية ليرد الجدل للطبيعة الأصلية للدين باعتباره يقدم منظومة لإدارة العلاقات بمستوياتها بين الإحكام والانقسام[32]، وهنا نرى أن ما ذهب إليه طلال أسد فى كتابه الهام «تشَكلات العلمانية» من النظر فى القومية باعتبارها ديناً مُعَلمَناً والنظر لبعض الحركات الدينية بوصفها حركات قومية يشكل أساساً مهماً للخروج من التصنيفات التقليدية، ومراجعة ما استقر عليه

دراسات

التصور وكان سببا إشكالات عديدة[33]، فتسكين جدل وجدلية العلماني–الديني هنا يعيد تأسيس ما يضطلع به هذا الجدل من مهمة معرفية كلية، ويقوم بإدراجه في نقاش النظام والفوضى، فضلاً عن فتح الخطاب الديني على مستجدات العلوم الطبيعية، وتزويد النقاش العلمي ـ بمستوياته ـ برؤى تتجاوز المساحة الضيقة لكل مجال أرغمته فلسفة العلم في الحداثة على الالتزام بها.

المحور الثاني الذي سيضم تحته قضايا متنوعة هو محور الدولة والناس (واخترنا «الناس» people بالمعنى العام وليس الاصطلاحي السياسي كـ «شعب» لأسباب ستتضح لاحقا توا)، فقد صاغت الحداثة مشروعها السياسي على أسس سيادة الدولة، وقومية الشعب، وترسيم الحدود، وتحكيم القانون، والتحكم في الموارد، وخصخصة الدين، والاستئثار بالقوة المسلحة، «تصور» الشعب الذي قدمته الحداثة حَجَب التنوع الثقافي، وهو ما تم استدراكه في صعود مفهوم المواطنة متعددة الثقافات (العرقية والدينية واللغوية)، والذي اعتبره البعض تطوراً في مفهوم المواطنة، في حين نراه تحولاً نوعياً في مفهوم المواطنة القومية لم تَحظ انعكاساته على أصل نظرية الدولة الحديثة وفلسفتها بما تستحق من اهتمام نظري، وسرعان ما اجتاحت العولمة المشهد فانصرفت الأنظار لموضوعات إعادة تكريس الدولة في الواقع –سيادةً– وفي النظرية –مفهوماً، وشهدنا توجهاً (وليس كتاباً فحسب حيث عادة ما يُشار لكتاب تيدا سكسوكبول ومجموعة من المنظرين السياسيين عن» استعادة الدولة في النظرية»[34] ) للعناية بنظرية الدولة، بل صعوداً ملحوظاً للدراسات الأمنية (بالمعنى الشامل، وتحديدا في مجالي العسكرية والأمن القومي) .

مقابل كل الجدل «عن الأمن والصيغ الجديدة للحرب»[35] واستدعاء كل تراث كارل شميت وتجاوزه بالعودة إلى مخيال دولة هيجل، وفيخته، وغيرهم من الذين تحدثوا عن الدولة «المتجاوزة» كمعنى وقيمة، بدأت «حالة الاستثناء» التي كرسها صعود الإرهاب وتفعيل آلة الحرب تتعرض لنقد شديد ومراجعات برز فيها أنطونيو نيجري، ومايكل هارت، وجورجيو أجامبين؛ أجامبين انصرف لنقض أفكار كارل شميت في كتاب جعل عنوانه «حالة الاستثناء» الذي يناقش تشريع غياب القانون تحت مسمى السيادة(والذي كتبه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر)، أما في كتابه الأسبق «الإنسان المقدس» فيرجع للقانون الروماني الذي قد يحكم على شخص بعقوبة تنزع عنه كل حقوقه فيتم استباحة حياته ويمكن لأي أحد قتله، لكنه في الوقت ذاته تغدو حياته مقدسة لا يمكن أن تكون جزءا من شعائر تضحية دينية. هيمنة السيادة على الحياة بالقانون تغدو إذاً صلب الإشكال السياسي الراهن[36]. التاريخ الروماني والقرون الوسطى إذاً حضورهم قوي في جذور الدولة القومية وجينيولوجيا الحداثة، وإن تخفت خلف شعارات العلمانية، أما نيجري وهارت فقد أخذا هذا الجدل للمستوى الدولي بتحليلهما للإمبراطورية، ثم لزخم التعدد المغاير لما عهدناه من قبل على مستوى العالم (الناس) وانعكاسه على صيغ الديمقراطية.[37]

سيبرز في هذا الموضع أربع قضايا، على سبيل المثال (لا الحصر): قضية الحراك العالمي، والهوية، والانتماء، وصعود المجتمع المدني العالمي بما في ذلك دراسة المدن العولمية (وهو مجال بدأ يجذب اهتمام شباب جماعة العلوم السياسية في مصر[38]، وقضية العنف، وإعادة تصوره وتعريفه بشكل عبر–تخصصي[39]، وقضية صعود أشكال الروابط التقليدية–ولا نقول عودة ـ لأنها لم تختف ابتداءً، بل تم تجاهلها في النظرية السياسية لصالح وحدات تحليل أخرى على رأسها الدولة. وهنا نجد أن العديد من الكتابات السوسيولوجية والأنثروبولوجية بقيت تتابع وحدة تحليل مثل القبيلة، وظل الشغف البحثي لديها يصب في تطوير مفاهيمها النظرية، في حين أن سيل الأدبيات عن القبيلة ودورها في الحروب والصراعات الجارية في العالم العربي يركز على البحث الإمبريقي الممزوج

بمقدمات تاريخية، ولا ينشغل كثيراً بالبعد النظرى وانعكاساته على كل ما سبق تناوله من محاور وإشكاليات[40]؛ وأخيرا وليس آخرا، قضية العلاقة بين المدنى والعسكرى ـ ولا نقول العلاقات المدنية العسكرية، حيث أن الأولى أوسع فى إدراك تداخل المدنى والعسكرى، وتبادل المواقع، وتنازع الأدوار فى العقود الثلاثة الماضية، فى حين انصرف اهتمام الباحثين بالبُعد النُظمى الذى اندرج تحت دراسات السياسات المقارنة والدراسات الأمنية[41]، رغم بروز قضايا كثيرة شائكة فى هذه الساحة، بدءاً من تكنولوجيا السلاح وأثرها على طبيعة المدنى والعسكرى، ومرورا بطبيعة الحرب ومساراتها، وانتهاءً بالفواعل فى مناطق النزاع، مع بروز مشاركين جدد من منظمات وشركات خاصة من الباطن تقوم بإدارة مساحات وتنفيذ مهمات لصيغ متنوعة من التنظيمات المسلحة تتحرك فى مساحات غير مسبقة وتستخدم تكتيكات لم تكن معروفة بما أزال على الجهتين، ومن قبل معظم الأطراف، الميزان الحساس للتمييز بين المدنى والعسكرى. وهذا ملف يطول البحث فيه بما لا يتسع له المقام ـ، كما أن إنعكاساته على فكرة التمييز بين مستويات القوة واستخدامات أدواتها التى قامت عليها التفرقة بين الدولة والمجتمع المدنى فكريا ونظريا وتاريخيا هائلة وستستلزم الكثير من المراجعات والنقاش المعمق.

نعم تمر العلوم الاجتماعية بأزمة، تواتر الحديث عنها مراراً وتكرارا وكثيرا ومجددا، لكننا اجتهدنا، فى هذا المقام، فى تلمس التحولات والموضوعات، وتقديم تصور لحال النظرية السياسية، كما قدمنا اقترابا أوليا لمحاور وموضوعات تتشابك وتتقاطع بشكل يستلزم نفيراً عاماً لتجديد النظرية السياسية، أو ربما..إعادة إلحاقها بالنظرية الاجتماعية والفلسفة تحت مظلة واحدة مرة أخرى، ولملمة شعث وشمل العلوم الإنسانية فى تصور لمستقبل الإنسانية، وهو التحدى الذى بدأ يلوح فى الأفق، وكأن الزمان يدور دورته لبعث معرفى جديد.

## المراجع:

1 ـ راجع، على سبيل المثال، كيف استعاد مايكل والتزر التراث اليهودى فى دراسة الفكر السياسى، وكذلك فعلت بونى هونيج فى الفلسفة السياسية، وفى المجال المسيحى تم استعادة الدين فى محاولة فهم الاقتصاد والعلاقات الدولية، وبعيدا عن الاختلاف، هل كان الدين موضوعا أم كان إطار معرفيا لكن هذه الكتابات تستحق المراجعة، وأن توضع محاولات مثل إسلامية المعرفة (حيث يصدر قريبا عن د. سارى حنفى، الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت كتاب نقدى فى تحليل مسيرتها)فى إطار أوسع للنظر والتقويم. انظر:

Bonnie Honig. Emergency Politics: Paradox, Law, Democracy, NJ: Princeton University Press, 2009; Michael Walzer et al., The Jewish Political Tradition, Vol.1: Authority ,New Haven: Yale University Press, 2000;Michael Walzer et al., The Jewish Political Tradition, Vol.2: Membership ,New Haven: Yale University Press, 2006.

وحول عودة الدين لفهم العلاقات الدولية، راجع على سبيل المثال:

Daniel Dennett, Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon, London: Penguin, 2006;Richard Falk, Religion and Humane Global Governance, New York: Palgrave, 2001; Fabio Petito and PavlosHatzopoulos (ed.), Religion in International Relations: The Return from Exile, New York :Palgrave, 2003; Jonathan Fox and Shmuel Sandler, Bringing Religion into International Affairs, New York :Macmillan, 2004; Eric O. Hanson, Religion and Politics in the International System Today, New York: Cambridge University Press, 2006; Jeffrey Haynes, An Introduction to International Relations and Religion, Essex :Pearson Longman, 2007; Thomas Banchoff (ed.), Religious Pluralism, Globalization, and World Politics, Oxford :Oxford University Press, 2008.

2 ـ كتب مؤخرا عدد من الزملاء فى قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة مقالات ودراسات تعكس الوعى بذلك على مستوى علم السياسة عامة وحال العلم فى مصر خاصة، منها:

د. محمد صفار،علم السياسة فى مصر: التاريخ والتوجهات، موقع جدلية، 24 أبريل http://bit.ly/2d9gFwb.2014

د.أحمد عبد ربه،مأزق العلوم السياسية فى مصر،جريدة الشروق، 20 سبتمبر http://bit.ly/2cvVjNH .2015

ورقة الدكتور حمدى عبد الرحمن حسن:

Hamdy A. Hassan, «A Century of Failure: Political Science And The Issue Of Governance In The Arab World», a paper presented within the special round table The State of the Discipline: Current Academic and Governance Challenges of Political Science(s), at the 2nd International Interdisciplinary Conference of political research SCOPE: Science of Politics, Bucharest, 78- May 2015.

3 ـ Agnes Heller. The Renaissance Man,translated by Richard E. Allen. London: Routledge & Kegan Paul,1978

4 ـ See: Mark Lichbach, Is Rational Choice Theory All Of Social Science? Michigan: University of Michigan Press, 2003.

5 ـ Arnold Brecht, Political Theory: The Foundations of Twentieth Century Political Thought, New Jersey: Princton University Press, 1959.

6 ـ Hannah Arendt, The Human Condition, Chicago: University of Chicago Press, 1998, pp.7 -20.

7 ـ عن مراجعة فكرة النهايات والبدايات وبيان جدلية العلاقة بين التقاليد والواقع من ناحية، والعقل والتقليد من ناحية أخرى وبلورة اقتراب لإعادة قراءة التقاليد وفهمها بشكل نقدى راجع أطروحة نزار الصياد:

NezarAlSayyad,»The End of Tradition or the Tradition of Endings?», in: NezarAlSayyad (Ed.) The End of Tradition?, London:Routledge,2004,pp.128-.

8 ـ Zygmunt Bauman, Liquid Modernity, Cambridge: Polity Press, 2000; Michael Walzer, Thick and Thin: Moral Argument at Home and Abroad, Notre Dame: University of Notre Dame Press, 2006.

9 ـ Joseph Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics, New York: Public Affairs, 2005.

10 ـ Marshall Berman, All that is solid melts Into Air: The Experience of Modernity, NY: Penguin, 1982,pp.15 -32

11 ـ جوستاف لوبون،روح الاجتماع، ترجمة أحمد فتحى باشا زغلول، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (المشروع القومى للترجمة -كتاب 983)،2005، ص ص 9-36.

12 ـ The Beast within: Race, Humanity, and Animality Environment and Planning D: Society and Space June 2000 18: 301320-; David Craig, Rationality, Animality, and Human Nature: Reconsidering Kant's View of the Human/Animal Relation. Konturen, [S.l.], v. 6, p. 6281-, Nov. 2014 (http://journals.library.oregonstate.edu/index.php/konturen/article/view/35063272/>

Date accessed: 2 September 2016.

13 _ Jordan Branch, The Cartographic State: Maps, Territory and the Origins of Soveriegnty,Cambridge: Cambridge University Press, 2014,pp.165185-

14 _ David Harvey, The Conditionof Postmodernity: An Inquiry into the Origins of Cultural Change, Oxford: Blackwell, 1990.

15 _ Erving Goffman, The Presentation of the Self in Everyday Life, London: Penguin, 1990.

16 _ Henri Lefebvre,Critique of Everyday Life, translated by John Moore, London: Verso, 1991;Henri Lefebvre, The Production of Space, translated by Donald Nicholson Smith, Oxford:Balckwell,1991.

17 _ Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism, London:Verso,2006.

18 _ Dale Tomich,»The Order of Historical Time: The Longue Durée and Micro-History- The Longue Durée and World-Systems Analysis», a paper presented to the Colloquium to Commemorate the 50th Anniversary of Fernand Braudel«s «Histoire et sciences sociales: La longue durée,» (Annales E.S.C., XIII, 4,

1958), Fernand Barude Center, Binghamton University,New York -October 242008 ,25-.

https://www.scribd.com/document/102481889/Long-Duree-Braudel

19 _ Zygmunt Bauman, Liquid Times: Living in an Age of Uncertainty, Cambridge: Polity Press, 2006.

20 ـ راجع بحثين فى غاية الأهمية لسردار عن «أزمنة ما بعد الاعتيادي» يقوم الآن محمد العربى– الباحث الشاب فى المستقبليات– بترجمتهما للعربية بعد أن ترجم سابقاً نصاً سابقاً لضياء الدين بالعربية نشرته مكتبة الاسكندرية فى نفس الموضوع:

ZiauddinSardar, «Welcome to Postnormal Times», Futures (2009).

(doi:10.1016/j.futures .2009 .11.028)

ZiauddinSardar,»Postnormal times revisited», Futures 67 (2015) 26–39. (http://dx.doi.org/10.1016/j.futures.2015.02.003)

ضياء الدين سردار، ماذا نعنى بالمستقبليات الإسلامية، ترجمة محمد العربى، الاسكندرية: مكتبة الإسكندرية – وحدة الدراسات المستقبلية (سلسلة أوراق/13)، 2014.

21 ـ محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم: تأصيل الصلة، الرباط: منشورات المعارف، 2007.

22 _ Paul Virilio, Speed and Politics, Los Angeles: Semiotexts Publishers, 2nd edition, 2006.

23 _ Robert V. Levine ,A Geography Of Time: On Tempo, Culture, And The Pace Of Life, N.Y.: Basic Books,1997.

24 ـ يمكن فهم تلك الفكرة بمطالعة كتاب باومان «شظايا حياة» مع تركيزه على نسبية القيم المبثوثة بتجليات مختلفة فى مساحات الحياة كأحد سمات مابعد الحداثة، وكذلك كتاب سينيت «سقوط الإنسان العام»:

Richard Sennett، The Fall of Public Man، New York: W.W. Norton، 1992.

.Zygmunt Bauman, Life in Fragments,Oxford: Blackwell, 1995

.Dialectic _ 25

26 ـ لفهم نظرية الفوضى بلغة بسيطة للباحث فى العلوم الاجتماعية والكشف عن منطق جدلية الفوضى والنظام، ورؤية الفوضى لا كتفكك وتشظى، بل بزوغ أنماط جديدة لم تكن معلومة لنا من قبل فى النسق الكونى أو الفعل الإنسانى سرعان ما تغدو موضعا للتنظير والتأطير بشكل منظم، وهو ما يختلف عن التصور الشائع، راجع:

جايمس جليك، نظرية الفوضى: علم اللامتوقع، بيروت: دار الساقى، 2008.

ZygmuntBauman, »Urban space wars: On destructive order and creative _ 27 .chaos»,Citizenship Studies,3:2, 1999,173 —185

وقارن هذا أيضاً بفكرة ريتشارد سينيت، عالم الاجتماع البريطانى، فى كتابه المهم «فى تحليل المساحة نفسها من الفاعلية الذاتية الإنسانية فى تفاعلها مع طبيعة المدينة الحداثية»:

Richard Sennett, The Uses of Disorder: Personal Identity and City Life,New York: W.W. .Norton and Company, 1992

JonathenSpencer,«Anthropological Order and Political Disorder»,in:Keebet von _ 28 Benda-Beckman and Fernanda Piries(eds.), Order and Disorder: Anthropological Perspectives, New York: Berghahn Books,2007,pp.150 -153,163 -164

Francis Fukuyama, The Origins of Political Order,: From Pre-human Times to _ 29 French Revolution, London: Profile Book Ltd, 2012

30 ـ أنظر على سبيل المثال كيف يناقش روبرت لايتون النظام والفوضى على محور السلم والحرب ثم على مستويات المجتمع والدولة والعلاقات الدولية-(ومرة أخرى تخصصه هو أيضاً أنثروبولوجيا) :

Robert Layton ,Order and Anarchy: Civil Society, Social Order and War, Cambridge: .Cambridge University Press,2006

31 ـ من أهم الكتب الصادرة حديثاً والتى تضم مجموعة من الدراسات النظرية والتطبيقية الرصينة حول الفوضى والعلاقات الدولية الكتاب الذى حرره كافالسكى وصدر العام الماضى، راجع:

Emilian Kavalski (ed.), World Politics at the Edge of Chaos: Reflections on Complexity .and Global Life, New York: SUNY Press, 2015

32 ـ راجع خريطة فلسفية للدين فى كتاب المفكر المغربى د.طه عبد الرحمن :

طه عبد الرحمن، روح الدين : من ضيق العلمانية إلى سعة الانتمائية، الدار البيضاء: المركز الثقافى العربى،2012.

وهناك عدد من النصوص المترجمة للعربية عن ما بعد العلمانية وزوال العلمنة لهابر ماس، وبيتر بيرجر، وغيرهم فى غاية الأهمية تستحق القراءة كلها فى عدد الثانى للسنة الثانية من «مجلة الاستغراب» شتاء 2006 التى تصدر فى بيروت، وموقعها:

www.istighrab.iicss.iq

TalalAsad, Formations of the Secular: Christianity, Islam, Modernity, California: _ 33 .Stanford University Press, 2003, pp.181 -201

Peter B. Evans, Dietrich Rueschemeyer, Theda Skocpol (Editors),Briging the State _ 34 .Back in, Cambridge: Cambridge University Press, 1985

by Peter B. Evans (Editor), Dietrich Rueschemeyer (Editor), Theda Skocpol (Editor) Briging the State Back in

35 ـ راجع هنا الدلالات النظرية لكتابات تصور الحرب عند مارى كالدور، ومارتين، شو على سبيل المثال:

Mary Kalor, New and Old Wars: Organized Violence in a Global Era, California: Stanford Cambridge: Polity, University Press,2007;Martin Shaw, The New Western Way of War, .2005

:See _ 36

Giorgio Agamben, Homo Sacer :Sovereign Power and Bare Life,Translated by Daniel Heller-Roazen, NY: Stanford University Press,1998; Giorgio Agamben, The State of .Exception, Chicago: The University of Chicago Press, 2005

Michael Hardt& Antonio Negri,Empire, MA: Harvard University Press, 2001;Michael _ 37 Hardt& Antonio Negri,Multitude: War and Democracy in the Age of Empire (Reprint .Edition), New York: Penguin, 2005

38 ـ بالطبع يمكن التفصيل هنا فى أفكار ديفيد هارفى، وفريدريك جيمسون، وساسكيا ساسن، وهانزن، وآرى وغيرهم، لكن يظل إينجين آيزين وريتشارد سينيت من أكثر الكتاب أهمية لهذا السعى الذى ننشده فى النظرية السياسية فى تتبع المواطنة والمساحة والسياسة، راجع:

Richard Sennet, Flesh and Stone:The Body and the City in Western Civilization, New York: W.W,Norton, 1996; EnginIsin, Being Political: Genealogies of Citizenship,Minnesota: ;University of Minnesota Press,2002

EnginIsin,Citizenship after Orientalism: Transforming Political Theory, London: Plagrave .Macmillan, 2015

39 ـ من أهم الكتب الصادرة فى مجال فهم العنف بشكل نظرى ورسم خرائط المفهوم باستدعاء حقول مختلفة فى العلوم الاجتماعية كتاب فييفيوركا من منظور المجتمع والدولة،والكتاب الذى حررته سارة رالف عن حفريات العنف وتاريخ العلاقة بين العنف والحرب والمحاربين، وفيهما إسهام نظرى يعيد تصور العلاقة بين الدولة والناس، وصيغ العنف وأشكاله ومصادره وديناميكياته الاجتماعية :

Michel Wieviorka, Violence: A New Approach, London: Sage, 2009;Sarah Ralph (ed.), The Archaeology of Violence: Interdisciplinary Approaches, New York: State University .of New York Press, 2012

كذلك ينصح فى ملف العنف بمراجعة كتاب «جيمس والر» الهام القادم من خلفية علم النفس الاجتماعى وميزة دراسته خلفيتها المسحية، وتحرير العنف من تصورات الدولة والتنظيمات، فضلا عن قيمتها النظرية فى الربط بين العنف والتوحش والطبيعة الإنسانية ومفهوم الشر (هنا يختلف عن مفهوم تفاهة الشر لحنة أرندت، حيث يحرر العنف الفردى من البيروقراطية الشمولية وينظر فى الدوافع الإنسانية:

James Waller, Becoming Evil: How Ordinary People Commit Genocide, Oxford: Oxford .University Press, 2007

40 ـ من الكتابات التى اهتمت بالقبيلة فى العالم العربى وإن لم تُثر اهتمام الباحثين فى النظرية السياسية لتتبع البحث النظرى كتابات هشام شرابى، وحليم بركات، ونزيه أيوبى من منظور نقدى/نقضى غلب عليه اقتراب حداثى ممزوج بالقومية والتحليل الماركسى، ونحيل ـ لضيق المساحة ـ لكتاب هام صدر مبكرا من تحرير كوستنر، وخورى، انظر:

Philips S. Khoury& Joseph Kostner,Tribes and State Formation in the Middle

.East,Berkeley: University of California Press، 1990

ومن محاولات المقاربة النظرية مع أهمية ملاحظة خلفية التخصص وإطار التحليل النظرى والمفاهيمى:

موريس جودلييه، القبائل فى التاريخ وفى مواجهة الدول، ترجمة خليل أحمد خليل وغازى برو، بيروت: دار الفارابى، 2015؛نعيمان عثمان، القَبَلية: عجز الأكاديمى ومراوغة المثقف،ط2، 2012.

وقد صدر مؤخراً عدد من مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية عن «راهن القبيلة فى الوطن العربي» عدد 15 المجلد الرابع، شتاء 2016، ويستحق مطالعة الدراسات المتنوعة المنشورة به.

وتكتب الباحثة حاليا دراسة حول مفهوم القبيلة وما بعد القبلية بعنوان «بين صحوة القبيلة وسطوة المدينة: قراءة فى مشهد القرون الوسطى الجديدة» قدمت أفكارها الرئيسية فى مؤتمر (خمس سنوات على الثورات العربية: عسر التحوّل الديمقراطى ومآلاته) الذى عُقد بالشراكة بين مركز عصام فارس بالجامعة الأمريكية ببيروت المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.( بيروت 22-25 يناير 2016).

41 ـ هذا التمييز الدقيق الذى ذكرناه يظل أهم ما كتب فيه ـ رغم مرور عقود طويلة، هو كتاب صمويل هنتنجتون كقراءة تأسيسية:

Samuel HuntingtonThe Soldier and the State: The Theory and Politics of Civil-Military .Relations , Cambridge-Massachusetts :Belknap Press , 1981

ومن المهم فى هذا المبحث الانتقال للبحث فى صعود الجماعات المسلحة من الفاعلين تحت الدولة أو فى مواجهة الدولة، ونعنى تحت الدولة الجماعات المسلحة فى ظل دولة (حزب الله نموذجاً)، وكذلك كيانات، مثل بلاك ووتر، وشركات توريد المرتزقة فى النزاعات المسلحة والحروب، ونقصد بالجماعات التى تعمل ضد الدولة جميع أشكال التنظيمات المسلحة المسماة بالإرهابية، والملاحظ أنه لم يعد التمييز بين الجماعات ارهابية من ناحية، وجماعات المقاومة المسلحة الذى كان يستخدم سابقاً قائما منذ فترة فى معظم الأدبيات من ناحية أخرى.